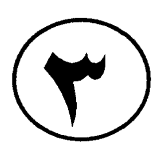
قصص الأنبياء للأطفال

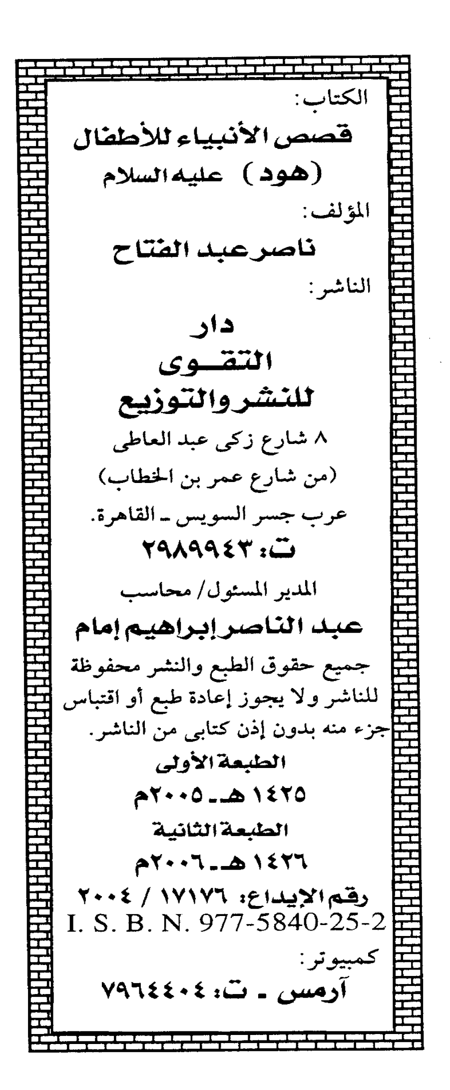


هُــودٌ

(عَلَيْهِ السَّلامُ)

بقلم/ ناصر عبد الفتاح

الناشر
دار التقوى
للنشر والتوزيع



الكتاب:

قصص الأنبياء للأطفال

(هود) عليه السلام

المؤلف:

ناصر عبد الفتاح

الناشر:

دار

التقــوى

للنشر والتوزيع

٨ شارع زكى عبد العاطى

(من شارع عمر بن الخطاب)

عرب جسر السويس ـ القاهرة.

ت: ٢٩٨٩٩٤٣

المدير المسئول/ محاسب

عبد الناصر إبراهيم إمام

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٥م

الطبعة الثانية

١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٦م

رقم الإيداع: ١٧١٧٦ / ٢٠٠٤

I. S. B. N. 977-5840-25-2

كمبيوتر:

آرمس ـ ت: ٧٩٦٤٤٠٤

استقرتْ سفينةُ نوحٍ فوقَ الأرضِ وتوقفتْ تماما عن المسير وجاء نداءٌ منْ فوقِ السماوات : -

﴿ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي ﴾ [هود الآية : ٤٤]

لَبّتِ السماءُ أمرَ خالقِها فامتنعتْ عَنْ إرسالِ الماء المنهمر وشربتْ عيونُ الأرضِ مياهَ الطوفان الهائلة ، وابتلعت معها أجساد الكافرينَ.

هبطَ نوحٌ والمؤمنونَ منَ السفينة فوجَدُوا الأرضَ مغسُولةً وخاليةً منَ البشَرِ ورأوُا السماءَ صافيةً منَ الغُيوم.

سجدَ الجميعُ شُكْرًا لِربِّهِمْ عَلى نَجَاتِهمْ وتطهيرِ الأرض من الكافرينَ.

أمرَ نوحٌ المؤمنينَ أنْ يتفرَّقُوا فِي أرجَاءِ الأرضِ الخاليةِ كَيْ يَعْمُرُوهَا ، وانطلقَ الناسُ يسعَوْنَ فِي الأرضِ فاستَقرَّ قومٌ فِي العراق ورحلَ قَوْمُ عادٍ إلَى اليَمَنِ ، وأقامُوا فِي وادى مُغيثٍ بصحراء الأحقاف.

عَانى القومُ منْ قَسْوةِ الحياةِ فِي ذلكَ الوادى الجافِ الواقع فِي قَلْبِ الصَّحْراءِ الشَّاسعة الخَاليةِ منْ مَظَاهرِ الحيَاة.

وقَاسُوا مِنْ جَوِّ النهَارِ الملتهبِ حَيْثُ تشتَدُّ حرارةُ الشَمْس فتَشعُ

لهيبًا يَلْسَعُ الأجْسَادَ ويَتصَبَّبُ العَرَقُ غَزيرًا منْها .

وَحِينَ يُقْبِلُ اللَّيْلُ ينقلبُ الجوُّ وتَشْتَدُّ البرُودَةُ القارسَةُ وتعْصفُ الرِّيَاحُ بمَا يُقَابلُهَا وتعْوى الذئابُ فِى كلِّ مكانٍ بأصواتٍ مُرعبةٍ تُقْلِقُ النائمينَ وتُخيفُ الصِّغَار .

رَضِىَ أهْلُ الوادى بمَا قَسَمَ اللهُ لهُمْ ، وتسَلَّحُوا بالصَّبْر والإيمَان وخَرُّوا سُجُودًا لله وشكَرُوهُ عَلَى نعمَةِ الحيَاة وأنهُ اختارَهُمْ خُلفَاءَ منْ بَعْدِ قَوْمِ نوحٍ ليَعْمُرُوا الأرْضَ .

* * *

استجَابَ اللهُ تعَالَى دُعَاءَ قَوْمِ عادٍ فَأمَرَ الأَرْضَ فتفجَّرت العُيُونُ الواسعَةُ وانهَمَرَتِ الأمطَارُ فروَتْ ظمَأَ أرْضِ مُغيثٍ العَطْشَى .

وأسرَعَ القَوْمُ يحرُثُونَ الأرضَ ويبْذُرُونَ الحَبَّ ويحصُدُونَ الثمَرَ وأنْبَتَتِ الأرضُ مختَلفَ الزُّرُوعِ والثمَارِ فأصْبَحَ الوادى المقْفرُ واحَةً خضْرَاءَ مُزَيَّنةً بأشجارِ الفاكِهَةِ وعيدَانِ الْقَمْحِ .

وامتَلأَ وادى مُغيثٍ بالحدائقِ الرائعَةِ : ذَاتِ الثمَارِ الناضجَةِ والأوْرَاقِ الخضْرَاءِ الزاهيَةِ .

أقَامَ قَوْمُ عَادٍ الخيَامَ الواسعَةَ ذَاتَ الأعْمدَةِ الضَّخْمةِ وبَنَوُا القُصُورَ الفخْمَةَ ذَاتَ الشُّرفَاتِ الرَّحْبَةِ وأحَاطُوهَا بالحدائقِ والأشجَارِ الشامخَةِ .

واشْتُهِرَتْ مدينةُ عَادٍ بإِرَمَ ذَاتِ العِمَادِ التى لَمْ يُخْلَقْ مثلُها فى البلاد.

وأصبح جَوُّ الوَادى لطيفًا بَعْدَ أنْ مَنَعَتْ أوْرَاقُ الأشجار العالية أشِعَّةَ الشَّمسِ المُحرِقَةَ وعَمِلَتْ كَمِظلَّةٍ وصدّت الرياحَ الشديدة ومنعَتْها مِنَ النفَاذِ.

رَزَقَ اللهُ تعالَى القَوْمَ بالبنين والبنَات فازداد عددُهُمْ وعاشُوا فى رخَاءٍ.

مَرَّتْ عشرَاتُ السنين ورحلَ جيلٌ مِنْ قَوْمِ عادٍ وجاءَ جيلٌ جديدٌ فانشَغَلَ بالأمْوَالِ والأوْلاَدِ وانصَرَفَ عَنْ عبادَةِ اللهِ وأقْبَلَ عَلى اللَّهْوِ والتَّرَفِ وانْدَسَّ الشيطَانُ بينَ قَومِ عَادٍ وَوَسْوَسَ إليهِمْ واتهمَهُم بالجُحُودِ لأنهُمْ نَسَوْا أجدَادَهُمُ الصَّالحينَ أصْحَابَ نُوحٍ.

وسَألَهُمْ: ـ ألاَ يستَحِقَّ أجدَادُكُمُ التَّكْريمَ والتَّمْجيدَ وَقَدْ نجَاهُمُ اللهُ مِنَ الطُّوفَانِ وقرَّبَهُمْ إليه، واخْتَصَّهُمْ دُونَ سَائِرِ النَّاسِ ليعْمُرُوا الأرْضَ؟

وتسَاءلَ القَوْمُ: كَيْفَ نُكَرِّمُ أجْدَادَنا؟

وَسْوَسَ الشيطَانُ لَهُمْ: ـ أنْ تُقيمُوا لهم تماثيل تخليدًا لذِكْرَاهُمْ وَاعْتِرَافًا بِفَضْلِهِمْ، وبِذَلكَ يَرْضَى عَنْكُمْ ربُّكم.

أحسَّ قَومُ عَادٍ بالحَنينِ إلى أجْدادهمُ الصَّالحين وتذكَّروا المشقَّةَ التى تحمَّلُوها قَبْلَ الطّوفان وبعْده فأسرعوا إلى الجبال ونَحَتُوا تمَاثيلَ ضَخْمَةً منَ الحجَارةِ ووَضعُوهَا فى سَاحَة الوادى.

جَلَسَ القومُ طَويلاً أمَامَ الأصْنَامِ فِى خُشُوعٍ، وأحَسُّوا بالرَّهْبَة منْهَا وكأنَّهَا أشْخَاصٌ حقيقيَّةٌ لا جَمَادَ، وكانُوا يُلقُون إليْها بالتَّحيَّة كُلَّمَا غدَوْا أوْ رَاحُوا.

مَضَتْ عَشَرَاتُ السِّنينِ وَجَاءَ جيلٌ جَديدٌ وَرَأى الأبْنَاءُ احْترَامَ آبَائِهِمْ للأصْنَامِ واهْتمَامَهُمْ بهَا، فظَنُّوا أنَّ لهَا قُدْرَةً عَجيبَةً وَوَسْوَسَ إليهِمُ الشيطَانُ وأوهَمَهُمْ أنهَا تحمِى بلدَهُمْ وتمنَعُ عنهُمْ وقُوعَ الضَّرَرِ وتُقَرِّبهُمْ منَ الله.

اعتقَدَ القومُ أنَّ لتماثيلَ أجدادِهم إرادةً وقُوَّةً، فكَانُوا كُلَّمَا أصابَهُمْ ضَررٌ لَجَئُوا إلَيْهَا وقدَّمُوا القَرابينَ وطلَبُوا منْهَا أنْ تتوسَّلَ إلَى الله كَىْ يرفَعَ الضررَ.

مرَّتْ عَشَرَاتُ السنينِ وجاءَ جيلٌ جديدٌ ووسوسَ الشيطَانُ إلَى القَومِ وزعَمَ أنَّ تماثيلَ أجدادهمْ آلهةٌ تَنْفَعُ وتضُرُّ وتَخْلُقُ وترْزقُ وترْحَمُ وتبطِشُ وتستحقُّ العبادَةَ.

وانتهَى الأمْرُ، بأنْ عبَدَ قومُ عادٍ الأصنَامَ وأصبَحُوا يركَعُونَ لهَا ويسجُدُونَ، ويدعُونَهَا صَبَاحَ مَسَاءَ.

وساءَتْ أخْلاَقُ الْقَوم فاعْتَدَى القَوِىُّ عَلى الضَّعيف ونهب الغنىُّ حقَّ الفقير ، وانتشر الظُّلمُ والفسَادُ فى أرجَاء الوادى ونجح إبليسُ فِى إثَارَةِ الفتَنِ ونشْرِ الجرائم وإغْواءِ الناسِ وتضليلِهِم.

وكانَ يعيشُ فِى وادى مُغيثٍ رَجُلٌ مؤمنٌ اسْمُهُ هُودٌ.. تألم الرجُلُ منْ أفْعَال قَوْمه وأصَابَهُ غَمٌّ شَديدٌ لأنهُم تركُوا دين ربهم وعَبَدُوا الأصْنَامَ العَاجزَةَ.

أَبَى هُودٌ مُشَارَكَةَ قَوْمه فِى آثَامِهِمْ ، وتَمَسَّكَ بدين أجْداده المؤمنِينَ أصحابِ نوحٍ عليه السَّلامُ.

ورَأَى قومَهُ يطُوفُونَ حَوْلَ الأصْنَام ويركَعُونَ ويَسْجُدُونَ لهَا ويَطْلُبُونَ منْهَا شفَاءَ المرْضَى وإطْعَامَ الجوعَى.

انطَلَقَ هُودٌ إلَى قَوْمه ليَدْعُوَهُمْ إلَى عبَادَة الله تعالَى ورأى أنْ ينْتقِىَ مَدْخَلاً مُلائمًا للحديث معهُمْ فذَكَّرَهُمْ بأنَّ الله اختارهُمْ بعْد قَوْم نُوحٍ لتَعْمير الأرْضِ وعبَادَته فيهَا وَقَدْ وَهَبَهُمْ طُولاً فَارعًا وقُوَّةً جَسَديَّةً.

وحدَّثَهُمُ النَّبىُّ عَنْ قوم نُوحٍ الذين كَذَّبُوا نَبيَّهُمْ وعاندُوهُ وتعرَّضُوا لَهُ بالإيذَاء وكيفَ كَانُوا يُغْلقُون أعينَهُمْ حتَى لا يروْهُ ويَسُدُّونَ آذَانَهُمْ لئَلاَّ يسْمَعُوهُ ، وكيْفَ سَخرُوا منْهُ حين قام ببناء الفُلْك ؟ وَمَاذَا كَانَ مَصيرُهُمْ ؟

لَقَدْ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ أمْطَارَ السَّمَاءِ وَيَنابيعَ الأَرْضِ وأغْرَقَهُمْ فِي طُوفَانٍ لا نظيرَ لَهُ ، وابتلعَتْهُمُ الأَرْضُ فأصْبَحُوا ذِكْرَى قَبيحَةً وعِبْرَةً بينَ الأمَمِ .

وتساءَلَ هُودٌ : لماذَا نَكَّلَ اللهُ بقَوْمِ نُوحٍ وأهلكَهُمْ ؟

صَمَتَ الْقَوْمُ وَلَمْ يَتَجَرَّأْ أحدٌ منهُمُ عَلَى الإجَابَةِ وَهُمْ يعلَمُونَهَا .

أجابَ هُودٌ : لأنَّهُمْ كَفَرُوا بربِّهِمُ الخَالقِ وعَبَدُوا الأصْنَامَ العاجزَةَ . . وأنتُمْ تركْتُمْ خالقَكُمْ وَلَمْ تتَّعظُوا بقَوْمِ نُوحٍ وكَفَرْتُم باللهِ فَنَحَتُّمْ أصْنَامًا جديدَةً وعكَفْتُمْ عَلَى عِبَادَتِهَا والرُّكُوعِ والسُّجُودِ لَهَا .

يَا قَوْمِ آمِنُوا باللهِ ، فَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ الشَّامخَةَ وزَيَّنَهَا بالْكَوَاكِبِ والنُّجُومِ اللاَّمعَةِ وخَلَقَ القَمَرَ ليُنيرَ عَتْمَةَ اللَّيْلِ فيَهْدِى المسافِرِينَ فِى الدُّرُوبِ المظْلمَةِ .

وَاللهُ الَّذِى خَلَقَ الأرْضَ وأرْسَى فوقَهَا الجبَالَ والهضَابَ وأجْرَى فِيهَا البحَارَ والأنْهارَ .

وَاللهُ خَلَقَ الأنعَامَ وسخَّرَهَا لكُمْ وأحَلَّ لُحُومَهَا .

وذَكَّرَهُمْ هُودٌ بوَاديهِمُ القَفْرِ ، وأنَّ اللهَ حَوَّلَهُ إلَى وَاحَةٍ خَضْرَاءَ مُحَاطَةٍ بالحدائقِ والثمَارِ وأنعَمَ عليهِمْ فَبَنَوُا القُصُورَ الضَّخْمَةَ وعَاشُوا فِى نَعِيمٍ وَرَخَاءٍ .

نظرَ القوْمُ إلى هُودٍ بغضبٍ وتساءلُوا :

ـ لماذا تقُولُ لنَا هَذا الكلامَ يا هُودُ ؟

قَالَ هُودٌ : لأنَّكُمْ جحدتُم أنْعُمَ اللهِ وتركْتُمْ دينَهُ وعبدتُمْ أحجارًا عاجِزةً لا تنْفعُ ولا تضُرُّ .

﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِن أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ ﴾

[هود الآية : ٥٠]

صاحَ بَعْضُ القَوْمِ : لَنْ نَتْرُكَ آلِهَتَنا يا هُودُ ولَنْ نَسْمعَ كلامكَ .

وَقَال آخَرُونَ : ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ ﴾ [الأعراف الآية : ٦٦]

تَألَّمَ هُودٌ لأنَّ قَوْمَهُ اتَّهمُوهُ بالْحُمْقِ وَعادَ يُحدِّثُهُمْ مرةً أخْرَى قائلاً : ـ

﴿ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف الآيتان : ٦٧ ، ٦٨]

لَمْ يُصدِّقِ الْقَوْمُ هُودًا ، لأنَّهُمُ اعتقَدُوا أنَ رسُولَ اللهِ ملكٌ من السَّمَاءِ ولَيْسَ بَشَرًا .

وَتَساءَلُوا مُسْتَنْكِرِينَ : أ أنتَ رسُولٌ منْ ربِّ العَالَمينَ ؟

قالَ هُودٌ : ﴿ أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ﴾ [الأعراف الآية : ٦٩]

لَكِنَّ القَوْمَ تَحَدَّوْا نبيَّهُمْ هُودًا ، وطَلَبُوا منهُ معجزةً تُثْبتُ صدْق دعْوته وَعظَمَةَ ربه الذى يدعُو إليه فقَالُوا :

﴿ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود الآية : ٥٣]

وازدادَ القومُ عنَادًا وكُفْرًا ، وادَّعَوْا أنَّ أصنامَهُمْ غَضِبَتْ عَلَى هُودٍ وأصابَتْهُ بالجُنُون فقالُوا :

﴿ إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ﴾ [هود الآية : ٥٤]

أشَارَ هُودٌ إلَى المَخْلُوقَاتِ وَالسَّمَاءِ والأرضِ ، وتَسَاءَلَ :

ـ مَنِ الذى خَلَقَهَا . . . اللهُ الواحدُ القهَّارُ أَمْ أَصْنَامُكُمُ العَاجِزَةُ ، لكنَّ القومَ عانَدُوا وأصرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ وتركُوا هُودًا وحدَهُ فانصَرَفَ عائدًا إلَى بيته غيرَ يائسٍ .

عادَ هُودٌ مرةً أخْرَى إلَى قومه فرآهُمْ مُجْتَمِعِينَ حَوْلَ الأصنام فِي تَضَرُّعٍ وخشُوعٍ ، وبينَ أيديهمُ القَرَابين .

اقْتَرَبَ هُودٌ منَ القَوْمِ وعاتَبَهُمْ لأَنَّهمْ يَبْنُونَ القُصُورَ والمَصَانعَ منْ أجْلِ اللَّهْوِ والتَّفَاخُرِ ظَنًّا منهُمْ أنهُمْ سَيَخْلُدُونَ فى الدنْيَا وحذَّرَهُمْ منْ عصْيَانِ الله وَظُلْم النَّاس والبَطْش والاعْتداء عليهِمْ .

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ

﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾

[الشعراء الآيات : ١٢٨ - ١٣١]

وأخبرهُمْ أنَّ لكلِّ إنسانٍ كتابًا تُسجَلُ فيه حسناتُهُ وسيئاتُهُ أثناء حياته ، وبعدَ ما يموتُ الإنسانُ يبعثهُ اللهُ يوم القيامة فيوضعُ كتابُه في ميزَان الحسَاب ، فإنْ رجحَتْ كفَّةُ حسناته أُدْخل الجنة . وإن رَجحَتْ كفَّةُ سيِّئَاته أُلْقيَ في النار .

وبيَّنَ النبيُّ أنَّ اللهَ أعَدَّ للمُؤْمنينَ جنَّات عدْنٍ تجْري منْ تحْتها الأنهارُ ، وفيهَا ما تشْتَهيه الأنْفُسُ ، وأعَدَّ للكافرينَ نيرانَ الجحيم التي تشْوي الأجْسَادَ .

وَقَالَ هُودٌ مُحَذِّرًا :

﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

[الشعراء الآيات : ١٣٢ - ١٣٥]

سَخرَ القومُ منْ هُودٍ وادَّعَوْا أنهُمْ لنْ يُبْعثُوا مرةً أُخرى . وأنهم سيُخَلَّدُون في الدُّنْيا ، ويحْيوْنَ حياةً أُخرى بعد موتهم ولن يعذبهم أحَدٌ .

وَقَالُوا لَهُ : خُذْ منَ المَال مَا تُريدُ ، وَدَعْنا وَشَأْنَنا يا هُودُ .

تَألَمَ النَّبِيُّ لأَنَّ قومَهُ اعتقدُوا أنهُ يَدْعُوهُمْ طمعًا فِي المال ، فَقَالَ لَهُمْ :

﴿ يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِىَ إِلاَّ عَلَى الَّذِى فَطَرَنِى أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [هود الآية : ٥١]

أتعبدونَ أحْجَارًا صَمَّاءَ؟ ... أنسيتُمْ أنكُمْ نحتُّمْ تلكَ الأوثان بأيديكُمْ منَ الحجَارَة... كيفَ تعبُدُون أشْيَاءَ لا تنفعُ ولا تضُرُّ ولاَ تقدرُ علَى الحَركَة ... هَلْ يُعْقَلُ أنْ يصنعَ الإنسانُ إلهَهُ بيدَيْه ثُمَّ يعبُدَهُ. وكيفَ يكونُ إلهًا خَالقًا وهُوَ مصنوعٌ بيد إنسانٍ؟.

﴿ إِنِّى أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾

[هود الآية : ٥٤]

اشتدَّ غضَبُ القومِ وصرخُوا فِي وجْه هُودٍ وهدَّدُوهُ عندَمَا شَعَرُوا بميلِ بَعْضِ الحاضرينَ إلَيْه واقتناعِهِمْ بكَلاَمه ، وخَشىَ القومُ أنْ تؤمنَ تلكَ المجموعةُ بهُودٍ.

ولذلكَ لَبثَ الكفَّارُ يبحثُونَ أَمْرَ هُودٍ كَىْ يَرُدُّوا أصحابَهُمْ إلَى دينِ آبائِهِمْ ، فقَالُوا لَهُمْ :

﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ [فصلت : الآية ١٥]

وأدركَ هُودٌ أنَّ قومَهُ بلغُوا أقصَى درجات العناد ، فآثرَ أنْ يستعْملَ معهُمْ أسلُوبًا آخرَ ليُبَيِّنَ لهُمْ عاقِبَةَ عنادهمْ وتكبُّرهمْ.

خاطبَ هُودٌ قومَهُ قائلاً :

لقدْ غضب ربُّكُمْ عَلَيْكُمْ ، لأنكُمْ عَبدْتُمْ أصْنَامًا عاجزَةً لا قُدْرة لَهَا ولاَ قُوَّةَ ، وادَّعَيْتُمْ أنها آلِهَةٌ وأطلقْتُمْ عَلَيْها أسْماءَ منْ عندكُمْ فانتظرُوا عاقِبَةَ أفعَالكُمْ ، وإنِّي منتظرٌ معكُمْ لأرى نهاية عنادكُمْ .

أحَسَّ القَومُ بالإهَانَة لأنَّ هُودًا يُهدِّدُهُم ، فقَالُوا لَهُ : ﴿ **أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [الأعراف آية : ٧٠]

... هَيَّا يا هُودُ أنْزِلْ عَلَيْنَا عَذَابَ رَبِّكَ .

وقعتْ تلكَ الكَلِماتُ عَلَى هُود كالصَّاعقَة ، وأصابتْهُ صدْمَةٌ شَديدةٌ لأنَّ قَوْمَهُ يَتحدَّوْنَ اللهَ ويشكِّكُونَ في قُدْرَته .

لجأَ هُودٌ إلَى ربِّه وَخرَّ سَاجدًا ، ودَعَاهُ قَائلاً :

استجابَ اللهُ دُعَاءَ نَبيِّه هُود ، وأمَرَ السَّماءَ فأغْلَقَتْ أبْوَابَهَا وامْتَنَعتْ عَنْ إرْسَالِ المطَرِ وأمَرَ العُيُونَ والآبَار فتسرَّبَت المياهُ إلى بَاطِنِ الأرضِ وَجَفَّت اليَنَابيعُ .

مَرَّتْ أسَابيعُ والسَّمَاءُ لاَ تُرْسِلُ قَطْرَةَ مَاءٍ واحدَةٍ .

اشْتَدَّ الظَمَأُ بالنَّاس ، وَجَفَّت الزُّرُوعُ ، وَتَشَقَّقَت الأرضُ ، واشْتَدَّ هُزَالُ الأنْعَام وبَرَزَتْ عظَامُهَا ، وَمَاتَ كَثيرٌ منْها جُوعًا وأصيبَ النَّاسُ بالرُّعْب .

خَرَجَ أَهْلُ الوَادى مِنْ بُيُوتِهِمْ حَامِلِينَ الأَطْعِمَةَ ، وتَجمَّعُوا أمامَ الأصنَامِ وَقَدْ وَهَنَتْ أجْسَامُهُمْ وتشقَّقَتْ شِفَاهُهُمْ وجفَّتْ حُلُوقُهُمْ مِنْ شِدَّةِ العَطَشِ.

وَقَفَ النَاسُ فِى ذُلٍّ وَانْكِسَارٍ أمَامَ الأوْثَانِ ، وصَاحَ أحدُهُمْ :

- تَقبَّلى قُرْبَانَ عِبَادِكِ المْخلصِينَ.. ارْفَعِى عَنَّا غَضَبَكِ ياآلهتَنا وأنزِلِى المطرَ.

تقدَّمَ رجُلٌ وذَبَحَ عِجْلاً هَزيلاً تَحْتَ قَدَمَى أحَدِ الأصْنَامِ وذَبَحَ آخَرُ شاةً واهنةً بينَمَا قدَّمَتْ سيِّدةٌ بَعْضًا مِنَ البيْضِ.

واندفَعَ الجَميعُ يقدِّمُونَ مَا يحمِلُونَهُ مِنْ قَرَابِينَ للأصْنَامِ ، ثُمَّ ركَعُوا لهَا وقامُوا يدعُونَهَا ودُمُوعُهُمْ تَتَسَاقَطُ غزيرةً فتُبَلِّلُ رِمَالَ الوَادى.

أَقْبَلَ هُودٌ ونَهَى قومَهُ عَنْ أفعَالِهِمْ السَّيِّئَةِ ، ونَصَحَهُمْ أنْ يُؤْمِنُوا باللهِ ويتَوَجَّهُوا إليهِ ويَدْعُونَهُ كَيْ يُنْزِلَ المطَرَ.

فَقَالَ لَهُمْ :

﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ [هود الآية : ٥٢]

هَجَمَ القَومُ عَلَى هُودٍ وصَرَخُوا فِى وجهِهِ وطَرَدُوهُ حتَّى لا تغضَبَ الأصنَامُ.

لجأ هُودٌ إلى رَبِّه واسْتَغْرقَ فى الصَّلاة والدُّعاء . فأمرهُ اللهُ تعالى بأنْ يَصْطحِبَ المؤمِنينَ ويَخْتبِئُوا جَميعًا فى مكان بعيد عن القوم الكافرينَ .

وأحسَّ المؤمنونَ بالسَّكينة عندمَا ابْتعَدُوا عَنْ قوْم عَاد الظالمين وفَجْأةً أظلَمَت السَّمَاءُ وَغَطَّتْ سحابَةٌ سوداءُ السَّماء . فعمَّ الظلامُ أرجاءَ الوادى .

اشتدَّ فرَحُ الكُفَّار عندمَا رأوُا السَّحابَةَ وظنوا أنها ستَنزلُ أمطارًا غزيرةً ، وجَرَى بعضُهُمْ إلَى بُيُوتهمْ وأحضرُوا أوْعيَةً لتَمْلأَ بماء المطر ، وَقَفَ الناسُ تحتَ السحَابَة يُصفِّقُونَ ويغَنُّونَ ابْتهاجًا بهَا ، وانتظَرُوا سُقُوطَ المطَر .

مرَّتْ لَحظاتٌ منَ القَلَق والتَّوتُّر ثُمَّ خَرَجَتْ ريحٌ صَرْصَرٌ عنيفةٌ بَاردَةٌ منَ السحَابَة وَهَبَّتْ بشدة .

وأخذَتْ تُزَمْجرُ وتُصَفِّرُ صَفيرًا مُرْعبًا واندفَعَتْ نَحْوَ الكفَّار . أسْرَعَ الْقَومُ يَحْتَمُونَ بالأصْنَام فسبقَتْهُمُ الرِّيحُ ، والتفَتْ حوْلَ الأوثَان فى دوَّامات . . . ورفعَتْهَا عَاليًا ثُمَّ دكَّتْهَا فى الأَرْض فتحطَّمَتْ وتَنَاثرَتْ قطَعًا صَغيرَةً .

وَاقتلعَت الريحُ الأشْجَارَ بجُذُورهَا ، وأطَاحَتْ بهَا فى الْهَوَاء كَأَنَّهَا وَرَقَةٌ عَائمَةٌ تَتَأَرْجَحُ فى الْجَوّ .

واندفَعَت الرِّيحُ نَحْوَ الكافرينَ ، وانقَضَّتْ عليهمْ فى سُرْعَة

خَاطفَةٍ ، وأخذَتْ تُطَارِدُ الهَارِبينَ .

كَـانتِ الرِّيحُ تَحْمِلُ الْكُفَّارَ وتَرْفَعُـهُم فِي الهَـوَاءِ ثُمَّ تَصْـدِمُ رءوسَـهُمْ بِالأرضِ فِي قُوةٍ شَدِيدةٍ فَيَصِيرُونَ كَأَنهُمْ جُذُوعُ نخلٍ خَاوِيةٍ مُجَوَّفَةٍ .

ظَلَّتِ الريحُ فِي أرضِ عَادٍ ثَمَانِيَةَ أيَّامٍ مُتَتَالِيةٍ ، حتَّى قَضَتْ عَلَى جَمِيعِ الكَافِرِينَ مِنْ قَوْمِ عَادٍ وَتَطَهَّرَتِ الأرْضُ مِنْهُمْ ، ولَمْ يَبْقَ مِن ذِكرَاهُمْ سِوَى بُيوتِهِمُ الخَالِيةِ وقُصُورِهِمِ الخَاوِيَةِ .

قَالَ اللهُ تَعَالَى :

﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴾ [الحاقة الآيات : ٦ ـ ٨]

﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ * وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ [هود الآيات : ٥٨ ـ ٦٠]

عَادَ هُودٌ والمؤمِنُونَ إلَى بُيُوتِهِمْ ، وخَرُّوا سُجُودًا للهِ شُكْرًا عَلَى نَجَاتِهِمْ .

• • •